سورة الانفال مدنية ستون وستة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان قوله تعالى يسالونك عن الانفال يقتضي البحث عن اربعة اشياء السايل والمسؤل وحقيقة النفل وان ذلك السؤال عن اية الاحكام كان اما البحث الاول وهو ان السايل من كان فنقول انه قد ليسالونك اخبار عن مالم يسبق ذكره وهذا ذلك ههنا لان حالة النزول كان السايل عن هذا السؤال معلوما ههنا فانصرف هذا اللفظ اليهم ولاشك انهم كانوا قوما لهم تعلق بالغنايم والانفال وهم اقوام من الصحابة واما البحث الثاني وهو ان المسؤل من كان فلاشك انه هو النبي صلى الله عليه وسلم واما البحث الثالث وهو ان الانفال ما هي فنقول الزيادة النفل والنافلة ما كان زيادة على الاصل وسميت الغنايم انفالا لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنايم لهم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض الذي هو الاصل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سال واما البحث الرابع وهو ان هذا السؤال عن اي احكام الانفال كان فنقول في وجهان الاول لفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان السؤال كان واقعا عن ذلك المعين ونظيره قوله تعالى يسالونك عن المحيض ويسالونك عن اليتامى فصل هذا ان سؤالهم عن حكم من احكام المحيض واليتامى وذلك الحكم غير معين الا ان الجواب كان معينا لانه تعالى قال في المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فدل هذا الجواب ان ذلك السؤال كان سؤالا عن مخالطة النساء وقال في اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين فدل هذا الجواب المعين على ان ذلك السؤال كان واقعا عن التصرف في اموالهم ومخالطتهم في المواكلة وايضا قال تعالى ويسالونك عن الروح وليس فيه ما يدل على ان ذلك السؤال عن اي الاحكام الا انه قال في الجواب قل الروح من امر ربي فدل هذا الجواب على ان ذلك السؤال كان عن كون الروح محدثا او قديما فكذا ههنا انما قال في جواب السؤال عن الانفال قل الانفال لله والرسول دل هذا على انهم سالوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها والقول الثاني ان قوله يسالونك عن الانفال اي عن الانفال والمراد من هذا السؤال الاستعطاء على ما روي في الخبر انهم كانوا يقولون يا رسول الله اعطنيه كذا اعطنيه كذا والبعد ان اقاعد عن مقام من وهذا قول عكرمة وقرا عبد الله يسالونك الانفال والبحث الخامس وهو شرح اقوال المفسرين في المراد بالانفال

فنقول ان

فنقول ان الانفال التي سالوا عنها يقتضي ان يكون قد وقع بينهم التنازع والتشاجر بسببها ويدل عليه وجوه ملته احدها ان قوله قل الانفال لله والرسول يدل على ان المقصود من ذكره منع القوم عن المخاصمة والمنازعة وثانيها قوله فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم يدل على انهم انما سالوا عن ذلك بعد ان وقعت الخصومة بينهم وثالثها قوله تعالى واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين يدل على ذلك اذا عرفت هذا فنقول يحتمل ان يكون المراد من هذه الانفال الغنايم وهي الاموال المأخوذة قهرا من الكفار ويحتمل ان يكون المراد غيرها اما الاول ففيه وجوه احدها انه صلى الله عليه وسلم قسم ما غنموا يوم بدر على من حضر وعلى اقوام لم يحضروا ايضا وهم ثلثة من المهاجرين وخمسة من الانصار اما المهاجرين فاحدهم عثمان فانه صلى الله عليه وسلم تركه على ابنته لانها كانت مريضة وطلحة وسعيد بن زيد فانه عليه السلام كان بعثهما للتجسس فخرجا في طريق الشام واما الخمسة من الانصار فابو لبابة بن عبد المنذر خلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة وعاصم خلفه على العالية والحرث بن حاطب رده من الروحا الى عمرو بن عوف لشيء بلغه عنه والحارث بن الصمة اصابته علة بالروحا وخوات بن جبير فهؤلاء لم يحضروا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الغنايم لهم فوقع من غيرهم فيما زعم فنزلت هذه الاية بسببها وثالثها روي ان يوم بدر الشبان قتلوا واسروا والاشياخ وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المصاف فقال الشبان الغنايم لنا انا قتلنا وهزمنا وقال الاشياخ كنا ردا لكم ولو انهزمتم لانحزتم الينا فلا تذهبوا بالغنايم دوننا فوقعت المخاصمة بهذا السبب فنزلت الاية ورابعها قال ابن عباس الانفال الغنايم وانما سالوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم فهذا الوجه ضعيف لان على هذا التقدير يكون المقصود من هذا السوال طلب حكم الله تعالى فقط وقد بينا بالدليل ان هذا السوال كان مسبوقا بمنازعة ومخاصمة واما الاحتمال الباقي وهو ان يكون المراد من الانفال شيئا سوى الغنايم وعلى هذا التقدير ففي تفسير الانفال وجوه احدها

الجهاد في كل حال لانه تعالى نص على ان ثاقلهم عن الجهاد امر منكر ولو لم يكن الجهاد واجبا لما كان هذا الثاقل منكرا وليس لقايل ان يقول الجهاد انما يجب في الوقت الذي يخاف هجوم الكفار عليه لانه عليه السلام ما كان يخاف هجوم الروم عليه ومع ذلك فقد اوجب الجهاد معهم ومنافع الجهاد مستقصاة في سورة ال عمران ايضا هو واجب على الكفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين

المسئلة الخامسة لقائل ان يقول ان قوله ما ايها الذين امنوا خطاب مع كل المومنين ثم قال لهم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم فهذا يدل على ان كل المومنين متثاقلين في ذلك التكليف وذلك الثاقل معصية فهذا يدل على اطباق كل الامة على المعصية وذلك قدح في اجماع الامة وجوابه ان خطاب الكل لارادة البعض مجاز مشهور في القران وفي ساير انواع الكلام كقوله تعالى اسمي ياجاره **الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شي قدير** وفي الاية مسايل

المسئلة الاولى اعلم ان الله تعالى لما رغبهم في الاية الاولى في الجهاد بنا على الترغيب في ثواب الاخرة نبههم في هذه الاية في الجهاد بنا على انواع اخر من الامور المقوية للدواعي وهي تسعة انواع الاول قوله يعذبكم عذابا اليما واعلم انه يحتمل ان يكون المراد عذاب الدنيا وان يكون المراد منه عذاب الاخرة وقال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم وقيل المراد منه عذاب الاخرة لان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بكل الاقسام وهي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وقطع منافع الدنيا ومنافع الاخرة الثاني قوله ويستبدل قوما غيركم والمراد تنبيههم على انه تعالى متكفل بنصرة نبيه على اعدايه فان سارعوا معه الى الخروج حصلت النصرة لهم وان تخلفوا وقعت النصرة لغيرهم وحصل الغنى

عنهم ليلا يتوهموا ان اعداء الدين وعز الاسلام لا يحصل الا بهم وليس في النص دلالة على ان ذلك الغني منهم وبطيره قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ثم اختلف المفسرون فقال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير هم ابنا فارس وقال ابو روق هم اهل اليمن وهذه الوجوه ليست بتفسير الاية لان الاية ليس فيها اشعار بها بل حمل لذلك الكلام المطلق على صوره معينه شاهد وهاوقال الاصم معناه ان يخرجه من بين اظهركم وهو المدينة قال القاضي هذا ضعيف لان اللفظ لا دلالة فيه على انه عليه السلام ينتقل من المدينة الى غيرها فلا يمتنع ان يظهر الله في المدينة اقواما يعينونه على الغزو لا يمتنع ان يعينه باقوام من الملايكة ايضا حال كونه هناك والثالث قوله ولا تضروه شيا والكناية في قول الحسن راجع الى الله تعالى اي لا تضروا الله لانه غني على العالمين وفي قول الباقين يعود الى الرسول اي لا تضروه لان الله عصمه عن الناس ولانه تعالى لما خذله ان ثاقلتم عنه ثم قال والله على كل شي قدير وهو تنبيه على شدة الزجر من حيث انه تعالى قادر لا يجوز عليه العجز فاذا توعدنا بالعقاب فعل

المسئلة الثانية قال الحسن وعكرمه هذه الاية منسوخة بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة قال المحققون الصحيح ان هذه الاية خطاب لمن استنفره رسول الله فلم ينفروا وعلى هذا التقدير فلا نسخ

المسئلة الثالثة قال الجبايي هذه الاية تدل على وعيد اهل الصلوة حيث بين ان المومنين ان لم ينفروا اعذبهم عذابا اليما وهو عذاب النار وان ترك الجهاد لا يكون الا من المومنين فبطل بذلك قول المرجيه ان اهل الصلوة لا وعيد لهم واذا ثبت الوعيد عليهم في ترك الجهاد فكذا في غيره لانه لا قايل بالفرق واعلم ان مسله الوعيد ذكرناها مستقصاة في سورة البقرة

المسئلة الرابعة قال القاضي هذه الاية دالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا معه لانه تعالى قال يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا ولم ينص على ان ذلك

القاضي ظاهرانها متكلفه جدا واما الوجه الصحيح الذي يشهد بصحته كل
عقل سليم هو ان الفعل يتوقف على حصول الداعي والا لزم رجحان احد طرفي
الممكن على الاخر لا لمرجح وهو محال وحصول خلل الداعي ليس من العبد والا لزم
التسلسل بل هو من الله تعالى فالعبد انما يقدم على الكفر اذا حصل في قلبه داعي
الكفر وذلك الحصول من الله تعالى واذا حصل ذلك الداعي انصرف القلب من
جانب الايمان الى الكفر وهذا هو المراد من صرف القلب وهو كلام مقرر ببرهان
منطقي وهو منطبق على هذا النص وبلغ في الوضوح الى اعلى الغايات وما بقي من
مباحث الآية ما نقل عن محمد بن اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلوة فان
قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قد قضينا الصلوة وكان المقصود منه
التفاؤل بترك هذا اللفظ الوارد فما لا سفي والترهب في ذلك اللفظ الوارد في
الخبر فانه تعالى قال واذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض الآية قوله
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما
عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فيه مسائل صلى
المسئلة الاولى اعلم انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السورة
ان يبلغ الى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها الا لمن خصه الله بزيد
التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو ان
هذا الرسول منكم يحصل له اليكم فهو كالطبيب الشفيق لكم وكالاب الرؤف
الرحيم في حقكم والطبيب الشفيق ربما اقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها والاب
الرحيم ربما اقدم على [illegible] انه لما عرف ان الطبيب حاذق وان الاب
مشفق صارت تلك المعالجة [illegible] متحملة وصارت تلك المأمورات جارية
مجرى [illegible] اصاخ لما [illegible] انه رسول حق من عند الله فاقبلوا منه
[illegible] بالفوز والفلاح ثم قال للرسول فان لم يقبلوا منك
[illegible] فقل حسبي الله لا اله الا

هو

الا هو عليه توكلت وهو رب
يريد المشركين والمنافقين ثم قيل توكلت
الله تعالى وتصديق الرسول عليه السلام
المذكورة في هذه السورة وقيل تولوا اشارة
من هذه الآية بان ان الكفار لو اعرضوا ولم
قبلوا الرسول حزن لا اشفاقا بان الله حسبه و
وفي ايصاله الى مقاماته الا والنعائم قال الا اله الا هو
وجب ان لا يكون لا مبدا لشيء من الممكنات والا محدث لشيء من
واذا كان هو الذي ارسل في هذه الرسالة وامرني بعد السلام كان
عليه والمعونة منه ثم قال عليه توكلت وهو رب العرش العظيم اي اتوكل
عليه وهو رب العرش العظيم والسبب في تخصيصه بالذكر انه كلما كان الاثر
اعظم والمؤثر كان ظهور جلاله المؤثر في العقل والخاطر اعظم ولما كان اعظم المخلوقات
هو العرش كان المقصود من ذكره بعظم جلال الله سبحانه فان قالوا العرش
غير محسوس فلا يعرف وجوده الا بعد ثبوت الشريعة فكيف يمكن ذكره
شرح عظمة الله تعالى قلنا وجود العرش امر مشهور والكت
والنصارى يعترفون انها ايضا كانوا قد سمعوه من اسلافهم
قوله العظيم بالرفع ليكون صفة للرب سبحانه وتعالى
اعلم ان جعل العظيم صفة الله تعالى اولى من جعله
جعلناه صفة للعرش كان المراد من كونه عظيما
حوانبه على ما هو مذكور في الاخبار وان
من العظمة وجوب الوجود والتقدم
العظمة القدم وكونه متعاليا
المسئلة الثانية هاتان الآيتان هما آخر